مفاتيح التقدم الحضاري بالعلم

"علم الجينات نموذجا"

د/ حسن رمضان فحلة

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية

جامعة باتنة

في جلسة فكرية جمعتنا في مدينة مدريد، كنا نتجاذب أطراف الحديث حول أمتنا كيف كانت رائدة قوية في الأرض، وكيف أصبحت تابعة مستوردة مستهلكة ضعيفة.

افتخرنا بماضي الأجداد والسلف الصالح وما تركوه من آثار وأمجاد، وتألمنا على الحالة التي وصلنا إليها، ثم تساءلنا فيما بيننا عن السبيل الذي نسلكه لتعود لأمتنا مكان الريادة والقوة، أو نساهم مع الأمم الأخرى في البناء الحضاري الإنساني؟.

"فإذا كان أجدادنا قد شيدوا الحضارات، وعرفوا كيف تستخدم جميع الطاقات والإمكانات في الحياة لتحقيق أهدافهم، وهم الذين تربوا على عقيدة التوحيد وتخلصوا من آثار التصورات الوضعية التي تعادي منهج الله عز وجل، وأخذوا منهجهم للقيام بمسؤولية الحياة من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ ثم حولوا هذا المنهج إلى سلوك عملي في الحياة"[1]. أفلا نستطيع امتلاك الوسائل والإمكانات التي تحضّرنا فنستخدمها بإحكام لتحقيق الأهداف السامية؟.

وخلال الجلسة أجمعنا على:

* أن أي أمة تريد أن تواكب الحضارة، وتسير في ركب التقدم العلمي والتحضر الإنساني لتصبح سيدة العصر حري بها أن تساهم بأنفسها في استخدام مقومات

الحضارة وأسسها في شتى مجالات الحياة، "وأن تُفرّق بين الحضارة الفكرية والتقدم العلمي الذي نملك منه فلكاً استقلالياً يحررنا من عبودية التقليد ولـــمِّ الفتات المتبقي تحت موائد أولئك المتحضرين، وبين التقدم العلمي الذي يستأثر به أولئك الديمقراطيون المتحضرون، ليبسطوا بسلطانه أيديهم على شعوب العالم استعباداً لها ليستغلوا خيراتها وخيرات أوطانها"[2].

* وأن الأمة التي تريد السيادة في الحضارة الإنسانية، عليها أن تعيش داخل معطيات وعلوم العصر، "لأن العلم حق مشاع لجميع أمم العالم وشعوبه وأفراده وجماعاته، لا تختص به أمة ولا شعب ولا دولة، يأخذه صاحب القدرة على فهمه وتطويعه للتجارب العلمية من أي مكان وجده فيه، ومن أي جيل وجده عنده، كذلك عرف المسلمون العلم، فأخذوا منه وأعطوا، فلم يقصروا ولم يضنّوا، فما بالنا اليوم قصّرنا، وقنعنا بالفتات المادي للمتعة؟ وما بال غيرنا –وقد أعطيناه وأخذنا منه– يضنّ علينا ويمنعنا حقاً لنا في الحياة"[3].

فالحضارة الفكرية إنما هي أخذ وعطاء، أخذ بما يعود علينا وعلى مجتمعنا العربي الإسلامي بالازدهار والتقدم وفي الوقت نفسه ترك لكل ما فيه مفسدة وشر، وهي عطاء للآخرين بما توصل إليه مجتمعنا من نتائج الأبحاث العلمية والتكنولوجيات الصناعية والعلوم الطبيعية والإنسانية من أجل إسعاد البشرية. وهنا نستطيع القول بأن أعمالنا إنما هي تمازج فكري وإبداع عقلي بما نملكه من مؤهلات وقدرات ليست بخافية على أحد من الناس.

وهذا العمل الفكري العقلي العلمي يمكننا من الخروج من دائرة التلقي والاستهلاك لما ينـــتجه الغير كي نحقق ما نصبوا إليه في ميدان العلم والتكنولوجيا المؤيدة بالأحكام الشرعية والقيم السامية.

* وأن عظمة الأمة تكمن في استيعابها لمنجزات العصر ومساهمتها الفعالة الجادة في إبداع وتكوين تلك المنجزات، كما حدث في اليابان والصين والاتحاد السوفييتي – سابقاً- عندما أخضعوا مقومات الحضارة المادية لواقعهم وأصالتهم متناسين مقومات الحضارة الروحية (الدينية) ولذلك تقدموا في المدنية.

فالحضارة الإنسانية رهينة باغتنام جميع مقوماتها المادية والمعنوية وقيمها الدينية حتى لا نكون كالطالب الذي يردد أشعار الآخرين دون أن يكون له دور في نظم ولو بيت واحد من أبيات الشعر.

لنتوقف قليلاً –من غير بكاء على الأطلال- **كي نتفحّص بعض سمات عصرنا، وما يجري في أفلاكه فنقول:** "إن نظرة مدققة للحالة الراهنة التي تعيشها أمتنا بالنظر إلى ما يجري في العالم اليوم من تقدم علمي وتكنولوجي، تأخذ بنا إلى القول بأننا نحيا حالة من المشكلات الفكرية والاجتماعية والعلمية والثقافية والاقتصادية والسياسية، فإذا لم نعمل جاهدين على تجاوز هذه المصاعب، وتخطي تلك المعوقات، فلن يكون مستقبلنا في هذا القرن أفضل وأحسن مما هو عليه في القرن الماضي.

عندما نتأمل ما يجري في العصر الحالي محللين لمقوماته، متفحصين لسماته، تبدو أمامنا عدة تساؤلات تفرض نفسها علينا، ألا وهي:

- ما هي سمات عصرنا الناجعة التي تفيدنا في عملنا العلمي الحضاري؟
- ما موقعنا من الحضارة الإنسانية التي وصل إليها الآخر؟
- ما دورنا في الإبداع والاختراع والتفكير الحضاري للوصول إلى ما وصل إليه الآخر؟

وقبل الإجابة على ذلك يمكن القول بأن البشرية أنجزت في القرن الماضي قسطاً كبيراً من العلوم والاكتشافات، والصناعات العادية والدقيقة في حقبة بسيطة من الزمن لم تنجزه الأجيال السابقة خلال فترة وجودها في الأرض.

أجل: لا ينكر أي عاقل بأن عصرنا هو عصر الإلكترون والذرة في المجال الصناعي، والانترنيت والإنترانيت في مجال الاتصالات، كما أنه بداية علوم جديدة في مجال الطب وفيزيولوجيا الأعضاء، بحيث سيكون بكل ذلك أثر كبير في تغيير عدد كبير من المفاهيم الإنسانية والاجتماعية والفكرية — مستقبلاً- عند إنسان هذا القرن، ونخص بالذكر ما توصّل إليه فريق من العلماء الذين بحثوا في علم الجينات حيث قالوا: من المتوقع أن يصل الإنسان للكشف عن أسباب كثير من الأمراض التي كان يعتقد في الماضي بأنها عصيّة على الفهم الإنساني.

وعندئذ بدأ الدكتور خليل شنيكر[4] يوجز الكلام عن علم الجينات وأثره على الإنسان فقال: لم يقتصر أثر علم الجينات على معرفة أسباب الأمراض فحسب، بل أصبح له تدخّل علمي في عدد من الصفات الإنسانية من الناحية التشريحية والبيولوجية للكائنات التي يجري عليها البحث العلمي التجريبي. فما هي بعض هذه الآثار التي تتركها الجينات في دورها الفعال في الإنسان من ناحية الشكل أو التفكير؟

طبعاً: إن ما نقرأه ونتعلمه مما يأتينا به العلماء أمر مُفزع يتطلب منا أن يكون لنا باع طويل يقوم به علماؤنا كما يقوم به العلماء المتخصصون اليوم.

ويقول الدكتور "خليل" شارحاً التركيب الخلوي والجيني في الجسم بما يلي:

تم اكتشاف حمض "ديس أوكسي ريبو نيكلو يكو" داخل نواة الخلية عام 1869 أي (ADN) من قبل "ميشر" ولكن وظيفة هذا الحمض لم تعرف إلا في

عام 1944م من قبل "هافري". كما تم التوصل إلى أن هذا الحمض يحتوي على معلومات وجزئيات جينية وظيفتها نقل الصفات الوراثية، وذلك في عام 1953م. كما اكتشف "واتسن" الحائز على جائزة نوبل بأن الـ (ADN) له شكل حلزوني ومؤلف من سلسلتين متشابكتين ومتصلتين مع بعضهما.

ثم بيّن وظيفة الجينات فقال: تتدخل هذه الجزئيات بشكل مباشر في تكوين المادة العضوية "البروتين" عبر البرمجة الذاتية، حتى أن كثيراً من الجينات تعمل ضمن الجنين، وتوقف نشاطها عند الكبر. وهناك بعض الجينات ذات وظائف متخصصة في كل نسيج، وأي تعديل في هذه الوظائف يمكنه التأثير في تكوين المادة العضوية وتغيير وظيفتها وطبيعتها، وبالعكس يمكن تعطيل وظيفة الجين بواسطة التدخل الخارجي بإدخال "الميتيل" على الـ (ADN).

يستعمل الجين للقيام بوظيفته عدة بروتينات تسمى "بروتينات منظّمة"وأي تدخّل من قبل الإنسان لتغيير هذه البروتينات يمكنه أن يعدل من وظيفة الجين، ويساهم في تغيير ماهية المادة المكوّنة. وهناك بروتينات يستعملها الجين تسمى "بروتينات مثبطة" وموقفة لانقسام الخلايا، وهذا ما يتوخى تعديله في المستقبل، لإيقاف انقسام الخلايا العشوائي "السرطانات".

وتابع قوله في ذكر الأبحاث الجارية على الجينات فقال: لقد تم اكتشاف كثير من هذه البروتينات المستعملة من قبل الجينات، ومازالت الأبحاث التجريبية جارية لاكتشاف غيرها، وهذا العمل العلمي يشكل عوامل قوة بيد من اكتشفها، فتجعله يتصور أن القوة العالمية أصبحت بجانبه، وتسيير البشرية بيده كما يحلو له، وفق مصالحه وأغراضه الذاتية.

ولنضرب مثالاً على ذلك هو: أن باحثين من جامعة "كاليفورنيا" في "سان ديفو" – كما جاء في مجلة أكاديمية العلوم- استطاعوا القيام بحقن جينات تحمل

اختصاصاً في تطوير نمو الخلايا العصبية الدماغية، ثم حقنها في الخلايا الضامرة وظيفياً في أدمغة 4قرود من نوع "رويسس RHESUS". وقورن هذا الحقن على أربعة قرود في نفس العمر مصابين بضمور الخلايا أيضاً.

وبعد 3 شهور من المتابعة لوحظ عودة النشاط للقرود المحقونة مع تغيير في أشكالها حيث ظهروا أكثر شباباً من نظائرهم (غير المحقونة بالجينات المخصصة للنمو).

وبناءا على هذه النتيجة التي حصلوا عليها في شهر حزيران "جوان" من عام 1999م تقدم الباحثون بطلب ترخيص حقن هذه الجينات في خلايا الأشخاص المصابين بمرض النسيان "الخرف"، وعدم معرفة الأشخاص والأمكنة "ALZHCIMCE"

ولهذا يمكن القول بأن ما يحدث في هذا المجال، ربما مكّن هؤلاء العلماء من تعديل شكل الإنسان، ونمط تفكيره، وتعديل نسبة ذكائه، وزيادة قوة جسده وتغيير لون عينيه، وقد يمكن أن يزداد في غبائه أو إجرامه، أو العكس.

فمن سيملك مفاتيح العلم في هذا القرن ليتخلص من عبودية التقليد وذل التبعية للغير؟

طبعاً: إن من يساهم مساهمة فعالة في البحث العلمي التجريبي، سيكون له قدم سبق على غيره، ليكون من أصحاب القرار والفعل لما سيصيب الأفراد مستقبلاً، بدليل ما حدث لبعض الأمم والشعوب عبر التاريخ.

فقد مرت أمم وشعوب خلال الحقب التاريخية بفترات من الرفعة والتقدم، عندما أخذت بيدها مفاتيح العلم والبحث التجريبي، فدخلت التاريخ من أوسع أبوابه، ونقصد بالذات أمتنا العربية والإسلامية التي كانت الرائدة في مجالات العلوم والحضارة، والسبب في ذلك يعود إلى ما جاء به الإسلام من عوامل وبواعث دفعت العلماء والباحثين للغوص في الميادين العلمية الإنسانية والتجريبية بشتى

صنوفها، من فلسفة وتأليف وترجمة واختراع، و لم تدخر وسعا في جني ما توصلت إليه الحضارات القديمة كالسومرية والإغريقية والفينيقية وغيرها، حيث اعتبرت علومها قواعد أساسية للبحث، ثم زادوا عليها علمياً وفكرياً، فأبدعوا في عدد من المجالات الفكرية والتطبيقية كالطب والهندسة والفلك والرياضيات والصيدلة وعلم المنطق والفلسفة، وغيرها من العلوم الإنسانية.

ونذكر باعتزاز دور أولياء الأمور الذين فهموا المقصد والغاية، فأعدوا المبادئ والوسائل، وأنفقوا على البحث العلمي والعلماء الشيء الكثير، وفتحوا المدارس ومراكز البحث، ورصدوا الأموال اللازمة لذلك، مما جعل كل من أوتي مقدرة من العلم والبحث أن يدلو بدلوه في هذا الميدان حتى أن آثار بصماتهم شاهدة على أعمالهم لا في ديار العرب والمسلمين فحسب وإنما في أوروبا وإفريقيا. فهلاّ تأسّينا بهم؟

وتجاه ذلك وقف الناس من نتائج البحث العلمي التجريبي على آراء وأقوال:

* منهم من التزم بالمنهج الرباني فربط العلم بالعقيدة، وأكد على دور الدين في دعمه للعلم والعلماء، والأخذ بالنتائج العلمية التي فيها سعادة وخير البشرية بناءاً على الأدلة الشرعية والمأثور عن السلف الصالح.

* ومنهم من اتخذ موقفاً مخالفاً، فرفض ارتباط العلم بالعقيدة واعتبر الأمور طبيعية تأتي نتائجها صدفة من تلقاء نفسها بفعل خواصها التركيبية الموجودة في ذات الأشياء.

* ومنهم من تحفَّظ و لم يبد رأياً في ذلك كله بل رأى اقتباس ما يجود به الآخر من نتائج علمية، واكتفى بما هو عليه من الحال.

ولا يخفى علينا حالة كثير من الناس في العلم العربي الذين أصيبوا بمرض التفكير بما أنجزته الحضارة الغربية، وما حققته من تقدم ومدنية، ناسين –أو متناسين– أننا لا نستطيع إنجاز تقدماً حقيقياً إلا في إطار واقعنا وقيمنا ومعتقدنا[5].

والحق الذي لا ريب فيه فإن أي تقدم لا يكون إنسانياً إلا إذا ارتبط بالعقيدة ومنطق الشريعة ومبادئ الإسلام، وبغير ذلك تصبح المدنية أشبه بهياكل ننقلها من مكان إلى مكان. لأن الإسلام جاء لمصالح البشرية جميعاً، قال تعالى: **(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)** "الأنبياء:107". حتى أن كثيراً من المنصفين في العالم برهنوا على أن الإسلام أكثر عصرية من النظم المعاصرة نفسها لموقفه الجريء والصريح من العلم والبحث العلمي التجريبي. وهذا ما وضحه القرآن الكريم والسنة النبوية في كثير من الآيات والأحاديث التي تحض على العلم وطلبه، والبحث في الكون والكائنات الحية وفي مقدمتها الإنسان، لمعرفة السنن الكونية ومجريات الأحداث والوقائع فيها، وعندئذ لابد من النظر في كتاب الله المجيد لنقطف ثماراً يانعة من الأدلة القطعية الثبوت والدلالة، منها:

قوله تعالى: **(قل انظروا ماذا في السموات والأرض)** "يونس:101"

(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) "العنكبوت:20"

(سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) "فصلت:53"

(يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) "الرحمن: 33"

(وفي الأرض آيات للموقنين، وفي أنفسكم أفلا تبصرون) "الذاريات:31"

يتبين مما سبق أن الأمر متجه نحو البحث والتأمل والتبصر في كل ما خلق الله تعالى من مخلوقات وكائنات، وكيف بدأ الله تعالى الخلق، وفي الآفاق والفضاء والنفس الإنسانية، فقد تنوع الخطاب القرآني في ذكر معاني العقل ودلالاته ليشمل كل ما يتعلق بالعمليات العقلية من نظر، وتأمل واستنباط وتعلّم وتفقّه وتبصر، إلى غير ذلك مما يؤكد أن النص القرآني قد استوعب كل معاني التفكير الإنساني.

وفي هذا دعوة الإنسان إلى استخدام حواسه التي وهبها الله تعالى له من سمع وبصر وغيرها ليكون هذا الحس بعالم الواقع والشهادة مقدمة في عملية التفكير قبل إصدار الحكم في الوقائع والأحداث، وبعدها ليسير في الأرض مذللاً مصاعبها حتى يصل إلى ما هو مفيد عن طريق العلم الصحيح.

ولهذا وجب على الأمة أن تنتهج المنهج الرباني لسعادتها وعلوها في الأرض، أما إن ابتعدت عن هذا المنهج وانحرف أفرادها عن سبيل العلم والمعرفة، فغرقوا في أتون الترف والفسوق والآثام والمعاصي والإسراف، ستصاب - لا محالة - بالدمار والانهيار. ولله در الشاعر حين يقول:

إذا ما الجهل خيم في بلاد رأيت أسودها مسخت قرودا

ولقد اعتبر علماء المسلمين العلم المقوم الثاني من مقومات الحضارة الإنسانية بعد مقوم العقيدة والإيمان. فطلب العلم فرض عين بالنسبة لعلوم العقيدة والإسلام والأخلاق، وفرض كفاية بالنسبة للعلوم الدنيوية، إلا أنها تصبح فرض عين إذا احتاجت الأمة إلى علم و لم يقم عليه القادرون في الأمة.

ثم أليست مقاصد الشريعة لتحقيق الخير للبشرية من ضروريات وحاجيات وتحسينيات؟ ولا يتم ذلك إلا بالتطبيق العلمي العملي المتقن.

زد على ذلك ما وهب الله به الناس من النعم الكثيرة ومنها نعمة التسخير، ونعني بذلك "ثمرة تفاعل القدرات العقلية مع الخبرات الكونية والنفسية،

سواء كان ذلك في ميادين الكون، أي (القدرة على اكتشاف قوانين عناصر الكون ثم تحويل هذه القوانين إلى تطبيقات وممارسات صائبة) أو (القدرة على اكتشاف قوانين السلوك الإنساني وتفاعلاته في حياة الفرد أو ممارسات الجماعة عبر الرحلة البشرية على الأرض) ثم الاستفادة من هذه القوانين في تعبئة طاقات الأفراد والجماعات لتحسين حياة الإنسان والرقي بالنوع البشري، وتأمين سلامته حسب المنطلقات والمبادئ التي تتفق مع قوانين الخلق وتوجيهات الوحي"[6].

وهذه النعمة ينبغي اغتنامها فيما يعود على الأمة بالخير والسعادة، حتى يستطيع الإنسان استنتاج القوانين الكامنة في كل عنصر من عناصر المخلوقات الطبيعية والكائنات الحية. فقد توصل الإنسان إلى معرفة الأرض وما تحتويه، والزراعة وقوانينها، وقوانين الماء والري والحياة والفلك والهواء والطيران، وهاهو العلم الحديث يطل على الإنسان من خلال ميدان العلم التجريبي بعلم الجينات حيث لا ندري ما نتائجها "فالمعرفة الإنسانية المكتسبة هي التي يكتسبها الإنسان بما أودعه الله تعالى فيه من مزايا التفكير والعقل، بعد أن أنعم عليه وأكرمه بـــ(المعلومات الأولى) التي كانت نقطة البداية للعقل الإنساني مع آدم عليه السلام فقال جل جلاله:(**وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين.قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا إنك أنت العليم الحكيم**) "البقرة: 31، 32"[7].

ثم إن الله تعالى جعل الإنسان مسؤولاً عن الوسائل التي مكّنه منها لينفذ بواسطتها إلى العالم الخارجي والكائنات الحية بواسطة العقل والحواس قال تعالى: (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) "الإسراء:36" أما إذا أهمل الإنسان العقل والحواس أصبح كالأنعام لقوله تعالى: (**ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً**

من الجنِّ والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) الأعراف:179"

"فقد شبه القرآن أولئك الذين لا يستخدمون عقولهم بالدواب لجهلهم وعدولهم عن الانتفاع بما وهبهم الله تعالى من نعمة العقل، قال تعالى: (**إن شرَّ الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون**) "الأنفال:22" فشر الخلق وشرّ البهائم التي تدب على الأرض هم الذين فقدوا العقل الذي يميز به المرء بين الخير والشر"[8].

فعلى الإنسان القيام بما أنيط به من مسؤوليات على الوجه الذي يَرضى عنه ربنا سبحانه وتعالى على ضوء العقيدة والشريعة، وعندها ينجح في مهمة الاستخلاف في الأرض، ويستفيد من نعمة التسخير، وبالتالي يحقق مقاصد الشريعة في سعادة البشرية والكرامة الإنسانية. فالمؤمن أشبه ما يكون بالنحلة التي تسعى لتحط على الأزهار ترتشف رحيقها لتقدم غذاء فيه شفاء للناس.

إذن يستفيد الإنسان من خبرات الآخرين ويتطلع إلى مواطن الحكمة فهي ضالته التي يسعى إليها ليضمها إلى الخبرات فيستفيد ويفيد.

قد يقول قائل: يحتاج البحث العلمي والتقدم التكنولوجي إلى نفقات كثيرة وأموال باهظة، فمن أين للباحثين تأمين ذلك؟

والجواب على ذلك بسيط من خلال ما في الاقتصاد الإسلامي من وجوه مشروعة في الإنفاق على العلم وسبله، لأن المال الذي بيد الإنسان هو مال الله تعالى، جعل فيه وظائف كثيرة من أجل رفعة الأمة وسعادتها، قال تعالى: (**وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه**) "الحديد: 07"

ولذلك وجب على المسؤولين على خزانة الدولة أن يضعوا الخطط الناجعة والإنفاق على هذه المشاريع العلمية، وبذلك تتحقق الخيرية التي وصف الله بها هذه

الأمة. مع العلم أن سبل هذه الخيرية كثيرة جاءت ضمن مبادئ الإسلام كالبر والتقوى والإخاء والتعاون والعدل والمساواة والعمل النافع الصالح نحو الريادة والقوة، في الوقت الذي تتمكن فيه الأمة من تصنيع وامتلاك وسائل التقدم العلمي والتكنولوجي، وهذه الخيرية تتطلب منا الجدّية في البحث وإنتاج الموارد الطبيعية، والاستفادة من الموارد البشرية.

كل ذلك يحتاج إلى مؤسسات تعليمية وجامعات تهتم بالبحث العلمي، فتقوم بـــ:

– تربية الناشئة على المثل الأعلى، بتزويدهم بالمهارات والخبرات والمعلومات ليكونوا قادرين على مواجهة تحديات الواقع المتجددة في مجالات الفكر والعقيدة والأخلاق والآداب والسلوك والمعاملات، بعيداً عن الترف الفكري والجدل العقيم مما يتيح للأجيال المسلمة الواعدة فرصاً للعطاء والرأي البنّاء والإرادة الفاعلة والثقة بالنفس والإسهام الإيجابي في البحث العلمي، واستغلال طاقات المجيدين وإمكاناتهم وقدراتهم وعلى الأخص الأذكياء منهم، للتخصص في مختلف فروع العلم لإعدادهم للمستقبل القريب والبعيد.

– البحث الفقهي فيما يتعلق بنتائج أي بحث علمي بصورة عامة وعلم الجينات بصورة خاصة، لأن ما ينتج عن البحث إنما هو من علم الغيب قبل معرفته، وعندئذ لابد من معرفة الحكم الشرعي الصحيح، ليحسن استخدامها وتوجيهها فيما يعود على الأمة بالخير، وهذا يتطلب تشكيل هيئة علمية تضم الباحثين المختصين في فروع العلم والفقهاء ليضعوا الضوابط التي تجعل النتائج متفقة مع روح الشريعة ومقاصدها من جهة ومجاراتها للعصر من جهة أخرى.

– دعم البحث العلمي بجدية وقوة فقد "أصبح البحث العلمي من الضرورات في حياة الأمم، وقد تقدمت به البلاد المتطورة، ويحتاج إليه في البلاد النامية،

والبلاد الإسلامية لن تنهض في مجالات الحياة العامة والعلوم والصناعات والزراعة إلا بالبحث العلمي المؤصل في الجامعات المتخصصة في الدراسات الإسلامية أو غير المتخصصة فيها في المجالات التي تختص بها لأن هذه هي وسيلة حل المشكلات المتعددة"[9].

– تشكيل وحدات بحث متنوعة تقوم بالبحث العلمي لمجاراة الباحثين في الدول المتقدمة علمياً[10]، على أن تضع في برامجها أهدافاً متعددة أهمها التسابق والتقدم على الآخرين في مجال الاختصاص.

– الاستفادة من خبرات الأدمغة العربية المهاجرة الذين لهم باع طويل في الأبحاث العلمية المتنوعة في الدول المتقدمة، هؤلاء الذين تمرسوا على البحث العلمي، وتأهلوا في الاختصاص، وبرعوا في الإبداع والاختراع، وعندهم المحبة الصادقة للوطن والأمة.

وباستقدامهم والاستفادة من خبراتهم تتمكن الأمة من إخراج كنوزها الثمينة ورسم صورة منيرة للمستقبل.

– تهيئة جميع ما يتطلبه البحث العلمي من نفقات للبناء والتجهيز، وتأمين وسائل العيش المريحة للباحثين ليتفرغوا للبحث والتنقيب والاختراع، وإزالة ما في المجتمع من معوقات مادية تقف حائلاً أمام استيراد الأجهزة والمعدات ووسائل التكنولوجيا،

– تدريب الشباب ممن يتمتعون بالذكاء والمقدرة على البحث بتوجيههم توجيها فعالاً بناء على دراسات نفسية، واستخبارات علمية توضع لهذا الغرض، بعيدة كل البعد عن المحسوبية والواسطة والتدخلات الشخصية. سواء كان هذا التدريب في الداخل أو عن طريق إرسال بعثات علمية إلى الخارج للاستفادة مما توصل إليه العالم المتقدم في التكنولوجيا المتطورة والبيولوجيا المدققة.

– القيام بتربية مثالية لأفراد المجتمع كي يبعث الوعي من جديد وتحيا القيم الإسلامية الصحيحة، فيعود المجتمع إلى دينه وأخلاقه وتنشأ أجيال واعية جادة متمسكة بقيمها، محافظة على وطنها، ساعية بكل جد وإخلاص لامتلاك شتى صنوف المعرفة ووسائل القوة وهذا يتطلب تسلحها بالعقيدة الصحيحة، وعودتها إلى دينها بوعي وقوة[11].

– تأسيس وحدة عربية للعلوم والأبحاث التجريبية من جميع الدول العربية تحت سقف جامعة الدول العربية[12] على أن يكون عملها للصالح العام، وأن تقوم الدول العربية بالإنفاق عليها كل حسب ميزانيته السنوية حتى تكون الدول العربية في مصاف الدول المتقدمة علمياً.

وفي الختام:

نتوجه إلى أولياء الأمور في الوطن العربي، وإلى القادرين على البذل والإنفاق أن يتعاونوا فيما بينهم على تسخير إمكاناتهم المادية الكثيرة لبناء المراكز العلمية في كل قطر من أقطار العالم العربي، وليكون لهذه المراكز مرجعية واحدة أشبه ما تكون بالعقل الإنساني المسير لكافة أجهزة الجسم بحيث يتكامل العمل وتؤدى الوظائف على أحسن وجه.

وأملنا على الله كبير ثم على المخلصين من أبناء الأمة أن يسعوا لاستلام مفاتيح العصر الحديث لتسير أمتنا في طريق التقدم والازدهار، وتدخل التاريخ في هذا العصر كما دخلته في الماضي إن شاء الله تعالى.

الهوامش:

[1] – بريغش محمد حسن: التربية ومستقبل الأمة ص:20.

[2] – المرجع نفسه ص: 89.

[3]- عرجون محمد الصادق: الموسوعة في سماحة الإسلام. 478/1، 479.

[4]- الدكتور شنيكر سوري الجنسية ولد في مدينة دير عطية من أعمال محافظة دمشق من أسرة متوسطة الحال، تلقى تعليمه في موطن ولادته وفي دمشق فتخرج طبيباً من جامعة دمشق، ثم رحل إلى إسبانيا للاختصاص فكان من أوائل الناجحين في جراحة القلب والأوعية الدموية، ولذلك عيّن أستاذا في كلية الطب بجامعة مدريد، وجراحاً للقلب في أحد مستشفياتها الحكومية، وله عضوية فعالة في مركز تخطيط القلب عن بعد بواسطة الحاسوب. ولا يزال مقيماً في مدينة مدريد.

[5]- انظر بريغش: المرجع السابق ص:87.

[6]- الكيلاني ماجد عرسان: أهداف التربية الإسلامية ص: 115، 116.

[7]- معروف نايف: الإنسان والعقل. ص: 116.

[8]- انظر الرازي: التفسير الكبير: 149/15 والصابوني: صفوة التفاسير: 498/1.

[9]- محجوب عباس: نحو منهجي إسلامي في التربية والتعليم ص: 124.

[10]- وهذا ما عملت به وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في الجامعات الجزائرية.

[11]- لمزيد من الاطلاع انظر بريغش: المرجع السابق ص: 82.

[12]- إن مؤسسة العلوم والثقافة في جامعة الدول العربية لم يكن دورها إلا كالناشرين.